Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الغصص والحسرات ، كما ذاقوا منه الحسرات والغصص ، وسر به أحياناً كما سروا .

إن ذلك الوحش الرهيب هو الزمان .

ولعل ذلك الحزن اللاذع الممض الذي شعر به أبو الطيب في مصر ، وتلك الهزيمة المريرة التي لقيها . ووقوفه وجهاً لوجه أمام ما لا يرضى . كل ذلك جعله يُصيخ بعمق إلى هواتف نفسه ، ويتسمع دبيب الحزن المختلط في أعماقه بالكبرياء بالحكمة ، فهانت عليه الدنيا وشعر أن كل شيء فيها وهم من الأوهام . وباطل وقبض الريح .

ويتوجع توجعاً خافتاً يقطع نباط القلب ، وهو يشكو ريب الدهر وعاديات الزمان ، ويقول ألم يكن هذا وحده كافياً لحربي ، فيتكلف الناس عداوتي مع الزمان ، وكأنهم يعينونه على حربي ، ويساعدونه ، وكلما أنْبتَ هذا الزمن الغادر عوداً للرمح ركب المرء فيها سناناً يطعنني بها . وتأمل معي اختلاط الحزن بالحكمة بهذيان المشاعر بالتأمل العميق . فما معنى أن نتعادى وأن نتفانى وكل رغبات الحياة أهون من هذا ؟

ومن الغريب أن المتنبي وهو في حضيض يأسه وأحزانه ، لا ينسى طبيعته .

ففي لحظات اليأس تواتيه نبضات الفروسية ، ولكنها في هذه المرة ممزوجة بالحكمة فالفتى عنده ، يلاقي المنايا كالحات ولا يلاقي الهوان ، وما دامت الحياة لا تبقى لحي فاقتحمها ولا تَخْشَ شيئاً ... وإذا لم يكن من الموت بد فالعار كل العار أن تموت جبانا .

ما معنى كل هذا ؟

تياران يتصارعان في نفس المتنبي . تيار من الضعف ، وتيار من القوة والاقتحام ولقد ظل هذان التياران يتصارعان في نفسه إلى آخر يوم أقامه في مصر ، بل لقد وصل هذان التياران إلى الذروة في أواخر تلك الأيام .

وهناك قصيدة كتبها في يوم عرفة من عام خمسين وثلاثمائة ، قبل رحيله من مصر بيوم واحد تختلط فيها أحزانه في العيد بثورته العاتية على كافور . ويمكن أن نطلق عليها « أحزان العيد » واقرأها معي بصوت مرتفع :

عيد بأية حال عدت يا عيـــد   بما مضى أم لأمر فيه تجديد
أما الأحبـة فالبيـــداء دونهم   فليت دونك بيداً دونها بيد